٢٧/١٠/٢٠١٩
الأيام التي سنحبس فيها أنفاسنا.

كتبت هذا المقال منذ ثلاثة ايام و ينشر بالتوازي مع نشره في مجلة (أو فيزتو للدراسات الإستراتيجية في جامعة سانتا كاترينا الفدرالية، البرازيل)
كنت اؤمن ولا زلت بأنه لا شيئ في السياسة يحدث مصادفة، وهذ لا يعتبر اني اؤمن بنظرية المؤامرة ، على الرغم من صحتها في كثير من الأحيان ولكنها لا تعتبر القاعدة العامة. اي حدث سياسي هو عبارة عن تراكم طويل لاحداث سياسية و اقتصادية أو طبيعية أخرى، ستعطي مفاعيلها بحسب القوى التي تتصارع بداخلها.
قرأت منذ فترة كتاب هو (من يحكم العالم) للكاتب الفذ نعوم تشومسكي، والمتوفر فقط باللغتين الإنكليزية و الاسبانية. في هذا الكتاب يعرض تشومسكي من خلال عدة مقالات رائعة(تعالج أحداث سياسية بعيون الإدارات الأمريكية المتعاقبة)، الية أو منهجية أو ردة فعل الدولة العميقة في الولايات المتحدة الأمريكية و خبرائها الإستراتيجين، تجاه المتغيرات العالمية، وعليه بناءا على هذه الدراسة و على النظرية النقدية التي اتبناها وهي الماركسية اللينيينية، سأحاول المساهمة في إعطاء رأيي(الغير ملزم لأحد) حول معطيات الأحداث السياسية و الاجتماعية في منطقتنا و إلى أين من الممكن أن تتجه الامور.

١- ان القوة الفاعلة الرئيسية في المنطقة هي وبلا منازع، الطغمة الحاكمة في الولايات المتحدة الأمريكية، وعليه لا يمكن لأي حدث في المنطقة، أن يكون بمعزل عن مصالح هذه القوة سواء إيجابا ام سلبا، وهذا احدى خصائص المنطقة و معاييرها السياسية الفارقة.

٢- اثر غزو أفغانستان و احتلال العراق و حروب " الربيع العربي" التي كانت الإدارات الأمريكية هي المايسترو فيها، لا تزال هذه القوى تؤجج الوضع إلى حد أخطر من اي وقت مضى، نتيجة التناقضات الداخلية للرأسمالية و نحوها باتجاه العدوانية بشكل مضطرد.

٣- اللاعبون الاقليميون في منطقتنا، (السعودية ، ايران، اسرائيل، تركيا و حلفاءهم) و الذين يشكلون محاور مواجهة فيما بينهم، ينتمون بلا شك إلى أقطاب في الصراع العالمي، هم القطب الأمريكي و حلفاءه و القطب الصيني الروسي و حلفاءهم، و في هذا ليس تقييم إيجابا ام سلبا إنما هو قراءة للامور من خارج رقعة الشطرنج.

٤- تطورت بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، و دخول الولايات المتحدة و المحور المتحالف معها، في حروب أفغانستان و العراق، قوة إقليمية فاعلة و وازنة في المنطقة هي ايران بالتوازي مع نمو القطب الذي تتحالف معه. وكانت سياستها هي محاولة إفشال كل المشاريع التي يسعى إليها المحور الآخر بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة، مرة من خلال الدفاع (المتطور جدا في ايران) ومرة من خلال الهجوم، كدعم و تمويل و تسليح قوى معادية لهذه المشاريع ايضا، (وهنا يجب الانتباه على إلى انه: من البلاهة الاعتقاد أن المحرك الأساسي في شرق المتوسط هو الخطاب أو الطموح الديني، فمثلا لن يجلس بوتين و خامنئي لمناقشة قصة و تفاصيل مقتل الحسين، بل المحرك الأساسي هو الصراع الاقتصادي المغطى سياسيا، بالخطابات التي تعبئ الجماهير، كالخطاب الديني و القومجي و الطائفي و الديمقراطي و الخ من "مساحيق المكياج" السياسية.

٥- تقوم الولايات المتحدة حاليا بإعادة تموضع قواتها، و قوات حلفائها في المنطقة، فمثلا تسحب معظم جنودها من سوريا، و تقوم بعملية تبادل مناطقي مع تركيا، حتى ولو ظهرت بمنظر الخاسر أمام روسيا، ولكن التواجد العسكري لم يعد يجدي نفعا للمشروع الأمريكي في سوريا، لا بل العكس اصبح يشكل عائق و مصدر قلق لهم أكثر منه مصدر لضمان النفوذ. و ايضا تقوم بإرسال معظم القوات المنسحبةمن سوريا، إلى العراق المحتل، وترسل ثلاثة آلاف جندي إلى السعودية و حاملة طائرات إلى الخليج، ما عدا اسطولها الخامس المرابط في مياهه، و ترسل أيضا مجموعة كبيرة من بطاريات الباتريوت، التي لم تكن على درجة عالية من الكفاءة أمام الصواريخ اليمنية (اما بسبب أخطاء تقنية، أو أنها تتدخرها لمفاجئة ايران في اي حرب مقبلة)، وتوسع قاعدتها العسكرية في قطر (بتكلفة ٨ مليار دولار دفعتها حكومة قطر) و ترسل ٣٠٠

جندي الى قواعدها الثلاث في الكويت، و تزود قواتها في أفغانستان بأكثر من ١٥٠ طائرة مع اطقمتها و ملاحيها الارضيين، بعد تعثر المفاوضات مع طالبان.

٦- اما حلفاءها في المنطقة، فهم أيضا يأخذون وضعية إعادة التموضع، فمثلا تخرج الإمارات من حرب اليمن و تسلم مواقعها التي كانت قد احتلتها سابقا إلى السعودية، مثل عدن، و الخط الساحلي حتى حدود مدينة الحديدة، و تبقي بعض قواتها في جزيرة سومطرة الإستراتيجية و التي لا تقبل الإمارات النقاش عليها، و السعودية تقوم بتغير وزير خارجيتها، و تأتي بشخص متعصب في العداء لإيران هو الامير فيصل بن فرحان. أما إسرائيل فقد أعلنت الاستنفار العام للجيش من الدرجة الخامسة، والتي تُعلن فقط في حالة ما قبل الحرب، وفي مرحلة سياسية صعبة في إسرائيل وخاصة بعد فشل نتنياهو في تشكيل حكومة، فقد يكون هذا قارب نجاته الأخير، والذي سيظهره بمظهر شارون أو بينغوريون أو موشي ديان، في عقول الإسرائيليين (وهؤلاء بالنسبة للعرب يعتبرون سفاحين، أما بالنسبة للإسرائيليين فهم ابطال قوميون).

• ٧- كل هذه المؤشرات تشير إلى الاستعداد لحرب كبيرة في المنطقة، بعض الصحف الغربية تصفها بالحرب العالمية الثالثة، وهي بالتأكيد ستكون ضد من يعرقل المشاريع الامريكية، و بالدرجة الأولى ايران، و من ثم حلفائها، و لكن ايران هي دولة قد نمى لها مخلب و ناب خلال عقود من المواجهة مع السياسات الأمريكية في المنطقة، و بنت تحالفات في دول الجوار لا يستهان بها، و من الممكن أن تقلب الطاولة على كل من يفكر بالحرب على ايران ضمن الظروف الراهنة.

٨- لوحظ منذ انطلاق المظاهرات في العراق في ١ اكتوبر (و التي كانت عبارة عن ردة فعل غاضبة من الشعب الذي نهبته البرجوازية و الحكومات المتعاقبة، قبل الاحتلال و بعده، والتي لا يمكن التصور أنها تتصرف أو تسرق أو تفسد اي شيئ في العراق الا بموافقة قوات الاحتلال)، وحتى اليوم، أن الإعلام العالمي، يتعاطى مع هذه المظاهرات، كاحتجاجات على النفوذ الإيراني في العراق و القوى السياسية الغير معادية لها داخل العراق، وكون هذه المظاهرات ضد البرجوازية و الحكومة (المدعومة بالمطلق من الأمريكيين بالاساس)، كانت

دون قيادة أو تبني من قبل حزب ما، سارع المحور الأمريكي و حلفاءه إلى سرقتها من اصحابها، و تحويل شعاراتها إلى طرد ايران من العراق و القضاء على التشكيلات المسلحة المتحالفة معها، كعنوان لإسقاط الحكومة و القضاء على الفساد، و استعادة "الكرامة" الوطنية! و هو شعار يدعوا للتساؤل: حيث انه لم يسبق ان حدث هذا ضد الامريكين في العراق و هم من احتلوا البلد و سرقوه و شردوا اهله و ارتكبوا المجازر بحق ابناءه، (مجازر الموصل و العامرية و سجن أبو غريب و دعم داعش هم أمثلة بسيطة على ذلك).
والتعاطي العالمي مع المظاهرات في لبنان و التي كنت قد كتبت عنها سابقا و بشكل تفصيلي، يتم بنفس الطريقة، و اصبح يتم توجيه جزء كبير منه ضد حزب الله و حلفاءه في لبنان.

٩- استنتاجات عامة:
هناك احتمال قوي جدا بنشوب حرب قادمة ضد ايران، و لهذا انسحبت القوات الأمريكية من سوريا لعدم امكانية استعمال هذه القوات في الحرب، و تحولها الى اهداف سهلة للقوات الايرانية القريبة جدا منها و التي تعمل مع الجيش السوري في شمال شرق سورية. بالاضافة الى العديد من العوامل الاخرى و لا مجال لحصرها في هذا المقال. وتم ارسالها الى قواعد اكثر فائدة الامريكين في الحرب المقبلة.
انسحبت القوات الإماراتية من اليمن لرفضها المشاركة العسكرية في حرب ايران، إثر تفاهمات سابقة مع الاخيرة، وعدم الرغبة في أن يدمر اقتصادها الذي يقف على المحك اساسا بعد أزمة ديون دبي، و أن يدمر كل ما بنته من مدن سياحية قد تصبح مصدر دخل ثاني و بديل للنفط في حال نضوبه أو تعرض سوقه لنكسة مفاجئة. وهذا ما برز بشكل واضح بعد ضرب الإمارات للقوات المتحالفة مع السعودية في اليمن و سيطرتها على عدن مرتين على التوالي.
وجاء هذا الانسحاب المفاجئ و المغايرة للتوقعات ليؤكد احتمالات الحرب.
الاستنفار الإسرائيلي هو نتيجة معرفة و مشاركة بالقرار الأمريكي في المنطقة، و الصحف الإسرائيلية بدأت تكتب عن ضربة سوف توجهها إسرائيل لإيران، و لكني استبعد ان تكون من داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة.
اما تحول مسار الاحتجاجات في العراق و لبنان، و الضغوط الاقتصادية على كلا البلدين، فهو يهدف إلى أمرين: اما ضرب المصالح الإيرانية (كالطريق بين

ايران و العراق و سوريا حتى المتوسط) و تدمير صورتها في المنطقة و أظهارها كقامع لشعوب المنطقة، وضرب القاعدة الجماهيرية لحلفاء ايران وبالتالي اما ان تسقط الحكومة (التي يوجد لامريكا النفوذ الكبير فيها، و في اي حكومة قادمة طالما الاحتلال موجود في العراق) واما ان تنزلق البلاد برعاية أمريكية إلى حرب اهلية، كالتهديد بتسليح القبائل في العراق "للثأر" لشهداء الاحتجاجات. و في الحالتين امريكا تسجل انتصارا على العراق و على العراقيين.
و نفس المنهجية يتم استعمالها في لبنان، و بالتالي هذه الأحداث ستغير الظروف الراهنة التي تكلمنا عنها، و ستمنح الولايات المتحدة و حلفاءها فرصة شن حرب عسكرية على ايران إلى جانب استمرار الحرب الاقتصادية عليها، و التي ستظهر للعالم على انها حرب تحرير لشعوب المنطقة من القمع الايراني، و ستكون حرب في حدود ايران، لأن حلفاءها الاقليميون سيكونون عاجزين عن مساعدتها بسبب الخراب الاجتماعي في بلدانهم. و سوف تطوى بذلك صفحة التهديد الإيراني، للمصالح الأمريكية و حلفاءها في المنطقة.

١٠- أن غياب القيادة الثورية و المعادية لرأس المال، للحركات الجماهيرية، و التي تعي الأبعاد السياسية و الدولية لتصرفاتها و لشعاراتها ، او ما نسميه بالحراك العفوي للجماهير هو سيف ذو حدين: فاما أن ينتج عن الحراك تحسن لأوضاع الناس(وهذا خيار نادر الحدوث تاريخيا)، و إما أن تمتطيه القوى الإمبريالية الكبيرة و تحوله لصالحها بسبب الخاصية المدهشة لرأس المال في التأقلم و تدوير زواية الأزمات لصالحه، بسبب ماكينته العسكرية و الاستخباراتية و الإعلامية و المالية الهائلة.
أن البرجوازية التي تقود الدول التي لا تخضع للمحور الأمريكي أو هي جزء من هذه القيادة، و التي يصطلح عليها سياسيا، بالبرجوازية الوطنية، يجب أن تقوم بتصويب فوري لتصرفاتها قبل سحقها من قبل رأس المال العالمي، فهي برجوازيات مأزومة و في حالة تناقض داخلي بين طبيعتها البرجوازية القائمة على الفساد و النهب من جهة و بين ضرورة تحسين وضع شعوبها و التي هي عماد هذا الموقف السياسي الذي تتبناه، بشكل كبير جدا، فهي شعوب قد حاربت و حررت و صمدت، في كل المواجهات و إن تجويعها و حرمانها من خيراتها الوطنية لن يخدم سوى المحور الآخر و مشاريعه، وسيكون بمثابة

اطلاق النار على الأقدام.
اتمنى ان أكون أخطأت التحليل و الا تنزلق المنطقة إلى ذلك.
بقلم عمرو حديفة.